" المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم " على أن البادي عليه إثم سبه ومثل إثم سب صاحبه ؛ لأنه كان سببا فيه إلا أن الإثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لأنه مكافئ مدافع عن عرضه . ألا ترى إلى قوله : " ما لم يعتد المظلوم " لأنه إذا خرج من حد المكافأة واعتدى لم يسلم . فإن قلت : فحين كف هابيل عن قتل أخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فأين الإثم حتى يتحمل أخوه مثله فيجتمع عليه الإثمان ؟ قلت : هو مقدر فهو يتحمل مثل الإثم المقدر كأنه قيل : إني أريد أن تبوء بمثل إثمي لو بسطت يدي إليك . وقيل : بإثمي بإثم قتلي وإثمك الذي من أجله لم يتقبل قربانك فإن قلت : فكيف جاز أن يريد شقاوة أخيه وتعذيبه بالنار ؟ قلت : كان ظالما وجزاء الظالم حسن جائز أن يراد . ألا ترى إلى قوله تعالى : " وذلك جزاء الظالمين " وإذا جاز أن يريده ا جاز أن يريده العبد ؛ لأنه لا يريد إلا ما هو حسن . والمراد بالإثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب فإن قلت : لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله : " لئن بسطت..... ما أنا بباسط " ؟ قلت : ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع . ولذلك أكده بالباء المؤكدة للنفي " فطوعت له نفسه قتل أخيه " فوسعته له ويسرته من طاع له المرتع : إذا اتسع . وقرأ الحسن : فطاوعت . وفيه وجهان : أن يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وأن يراد أن قتل أخيه كأنه دعا نفسه إلى الإقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك : حفظت لزيد ماله . وقيل : قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل : بالبصرة في موضع المسجد الأعظم " فبعث ا غرابا " روي : أنه أول قتيل قتل على وجه الأرض من بني آدم . ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى أروح وعكفت عليه السباع فبعث ا غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة " قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب " ويروى أنه لما قتله اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال : ما كنت عليه وكيلا فقال : بل قتلته ولذلك اسود جسدك . وروي أن آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وأنه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر إلا منحول ملحون . وقد صح أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشعر . " ليريه " ليريه ا . أو ليريه الغراب أي ليعلمه ؛ لأنه لما كان سبب تعليمه فكأنه قصد تعليمه على سبيل المجاز " سوءة أخيه " عورة أخيه وما لا يجوز أن ينكشف من جسده . والسوأة : الفضيحة لقبحها . قال : .

يا لقوم للسوأة السوآء .

أي للفضيحة العظيمة فكنى بها عنها " فأواري " بالنصب على جواب الاستفهام . وقرئ بالسكون على : فأنا أواري . أو على التسكين في موضع النصب للتخفيف " من النادمين " على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في أمره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط أبيه ولم يندم ندم التائبين " من أجل ذلك " بسبب ذلك وبعلته . وقيل : أصله من أجل شرا إذا جناه يأجله أجلا . ومنه قوله : .

وأهل خباء صالح ذات بينهم ... قد احتربوا في عاجل أنا آجله